

عاش (دمثة) في صحبة الأسد ، فارتفعت منزلته عنده ، حتى صار
أمينه وجليسه ، وصديقة ورفيقه ومستشاره في كل كبير وصغير ،
وكل جاد وخطير من الأمور ..

وذات يوم اختلف (دمثة) بالأسد ، فقال له :
- أراك أيها الملك قد فضلت الإقامة في مكان واحد ، ولا تريد
أن تفرخه ، فما هو السر في ذلك ؟

وقبل أن يجيب الأسد علي سؤال (دمثة) خار الثور (شيثرة)
حوارا شديدا من مكانه في المزرع الأخضر القريب ، فارتفعت
مفاصل الأسد وخاف خوفا شديدا (لأنه لم يكن قد سبق له رؤية
ذلك الثور ، أو سماع صوته) .

لكنه تعالك نفسه ، حتى لا يظهر خوفه من ذلك الوحش الغريب
أمام (دمثة) فيكون عرضة لاحتقاره ، واستصغار شأنه ..



لكن (بمنة) كان قد لاحظ ببطئته أن صوت الثور قد أفرع
الأسد ، وأدخل الرغب في قلبه .. فالتفت إلى الأسد قائلاً في أدب :
- هل ظننت أن ذلك الصوت يمكن أن يخيف أيها الملك ؟
فقال الأسد في خجل :

- ما ظننت أن صوتاً يمكن أن يخيف مثل ذلك الصوت ..

فقال (بمنة) في أدب :

- ليس خليقاً بملك مثاب مثلك أن بركة مكانة ، وبرحل علة من أجل
صوت سمعة .. وقد قال الحكماء :

ليس من كل الأصوات تجب الهيبة والخوف ..

فقال الأسد :

- صدقت يا مستناري الناصح الأمين ..



وقال (دمثة) :

- إنَّ هذا الصَّوْتُ الَّذِي أَخَافُنَا لَوْ سَرْنَا إِلَيْهِ ، لَوَجَدْنَا
صَاحِبَهُ أَهْوَنَ وَأَضْعَفَ مِنَّا صَوْرَهُ لَنَا صَوْتُهُ الْجَهِيرُ ..
فَقَالَ الْأَسَدُ :

- رُبَّمَا .. لَكُنِّي لَا أَجِدُ بِي رَغْبَةً فِي الذَّهَابِ إِلَيْهِ ..
فَقَالَ (دمثة) :

- إِنْ شِئْتَ أَيُّهَا الْحَلَكُ بَقِيتَ فِي مَكَانِكَ ، وَأُرْسَلْتُنِي
حَتَّى أَتَبَكَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَنْ صَاحِبِ ذَلِكَ الصَّوْتِ ..
فَوَافَقَ الْأَسَدُ عَلَى اقْتِرَاحِ (دمثة) وَأَطْلَقَ (دمثة) نَحْوَ
ذَلِكَ الْمَرْجِ الْأَخْضَرِ ، الَّذِي يُقِيمُ فِيهِ الثَّوْرُ (شَثْرِبَة)
لِاسْتِطْلَاعِ الْخَبَرِ



وَنَدِمَ الْأَسَدُ نَدَمًا شَدِيدًا عَلَى تَسْرُعِهِ فِي إِرْسَالِ (بِئْسَةَ) إِلَى ذَلِكَ
 الشَّخْصِ الْمَجْهُولِ ، صَاحِبِ الصَّوْتِ الْجَهْرِيِّ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :
 - لَقَدْ أَخْطَأْتُ فِي إِرْسَالِ (بِئْسَةَ) وَحْدَهُ .. لَقَدْ كَانَ شَخْصًا
 وَضِيقًا حَتَّى وَفَّتْ قَرِيبٌ ، وَهُوَ ذَاهِيَةٌ أَرِيبٌ .. مَنْ أَثْرَانِي أَنْ يَكُونَ
 صَاحِبَ الصَّوْتِ الْجَهْرِيِّ عَدُوًّا لِي ، وَأَنَّهُ لَا يُسَلِّمُنِي إِلَيْهِ ؟! مَنْ
 أَثْرَانِي أَنَّهُ لَا يَنْحَالِفُ مَعَ عَدُوِّي ضِدِّي ، لَقَدْ أَخْطَأْتُ ، وَبِجِبِّ أَنْ
 أُسْرِعَ بِإِصْلَاحِ خَطَنِي ، قَبْلَ أَنْ يَخْذُلَ مَا لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ ..
 وَاسْتَعَدَّ الْأَسَدُ لِمُغَادَرَةِ مَنْزِلِهِ ، حَتَّى يَلْحُقَ بِـ (بِئْسَةَ) لَكِنْ
 (بِئْسَةَ) رَجَعَ إِلَيْهِ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، فَقَالَ لَهُ :

- مَاذَا رَأَيْتَ هُنَاكَ ؟!

فَقَالَ (بِئْسَةَ) :

- رَأَيْتَ نَوْرًا هُوَ صَاحِبُ الصَّوْتِ الْجَهْرِيِّ ، الَّذِي سَمِعْتَهُ ..

فَقَالَ الْأَسَدُ :

- صَفِّ لِي ، وَصِفْ لِي مَدَى قُوَّتِهِ ..



فَأَخَذَ (بِمِثْلَةِ) يَصِفُ لَهُ الثَّوْرَ وَصْفًا ذَقِيقًا ، ثُمَّ خَتَمَ كَلَامَهُ قَائِلًا :

- وَلَقَدْ انْتَرَبْتُ مِثْلَهُ وَحَاضِرْتُهُ ، فَلَمْ أَجِدْ لَهُ قُوَّةً تُنَاسِبُ مَعَ صَوْتِهِ ..

فَقَالَ الْأَسَدُ مُسْتَنْكِرًا :

- لَا يَخْرُتُكَ ذَلِكَ مِثْلَهُ ، طَالَمَا أَنَّكَ لَمْ تَخْتَبِرْ قُوَّتَهُ .

وَقَالَ (بِمِثْلَةِ) :

- لَا تَهَابِنِ مِثْلَهُ شَيْئًا أَيُّهَا الْمَلِكُ .. إِنَا أَتَيْتُكَ بِهِ إِلَى هُنَا

لِيَكُونَ لَكَ غَدِيًّا مَطِيْعًا ، وَخَادِمًا سَمِيْعًا ..

فَقَالَ الْأَسَدُ :

- اذْهَبْ وَأَخْضِرْهُ ..



انطلق (دبنة) إلى الثور (شبرية) وقال له :

- لقد أرسلني الأسد إليك لأدعوك للذهاب إليه .. وقد أمرني أن
أؤمّنك على نفسك ، إذا عجلت بالذهاب إليه ، أما إذا تأخرت عن
الذهاب إليه ، فسوف أغودّ إليه وأخبره بذلك ، وقلّها لا تلوّن
إلا نفسك ..

فقال (شبرية) متعجبًا :

- ومن يكون ذلك الأسد ، الذي أرسلك إليّ ؟

فقال (دبنة) :

- هو ملك الوحوش والسماع ، ولنبّه جندّ خثيرون وأغوان
خثيرون ..



فسعر الثور (سرية) بالخوف يسرى في أوصاله وقال له :
 - إذا أنت أعطيت لي الأمان على نفسي ذهبت منك ..
 فأعطاه (دمنة) الأمان على نفسه ، وأخذ منه (سرية) الغنود
 والمواثيق على ذلك .. ثم انطلق معه إلى الأسد ..
 فاحسن الأسد إلى الثور ، واستقبله أحسن استقبال ..
 ثم سأله عن حاله ، وما الذي أتى به إلى هذه البلاد ..
 فقص عليه (سرية) قصة من البداية إلى النهاية ..
 فأعجب الأسد بشجاعته وقربه إليه .. ثم قال له :
 - اصحبني وسوف أكرمك وتجد عندي ما يسرك ..
 فشكره الثور ، وأقام بجواره ملازمًا له فأكرمه الأسد
 وانتمت على أسراره ، وجعله مستشاره الخاص ،
 حتى صار أقرب أصحابه ، وأغلاهم منزلة عنده ..



ولما رأى (دبنة) أن الأسد قدّم التور عليه ، وعلى جميع
أصحابه ، واختصه برأيه وسنورته واستراره ، غاظه ذلك
غَيْظًا شديدًا ، وحسده حسدًا عظيمًا ، فذهب إلى أخيه (كليلة)
وشكا إليه قائلاً :

- هل رأيت يا أخى ما حدث ؟ لقد أرذت نفع الأسد وأعفلت
نفع نفسه .. لقد جلبت له تورًا استثنى بكل شيء ، واحتل منزلي ،
فأصبح مستشاره وكانم استراره ..
فقال (كليلة) :

- وعلى أى شيء عزمت يا أخى ؟



فقال (بمنة) :

- كلُّ ما أَرْجُوهُ هو أَنْ أَتَمَّالَ لَآكِلَ الْعُشْبِ هَذَا ، حَتَّى أَفَرِّقَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْأَسَدِ ، حَتَّى نَعُودَ إِلَى مَرْزَلَتِي الرَّغِيصَةِ ، وَأَعُودَ إِلَى سَابِقِ
عَهْدِي عِندَهُ ، وَإِنْ اسْتَنْطَعْتُ أَنْ أَفَرِّقَ بَيْنَ الثَّوْرِ وَالْحَبَاةِ يَكُونُ
أَفْضَلَ لِي وَلِلْأَسَدِ ، حَتَّى لَا يَلْقَا أَحَدُ بِمُصَاحِبَتِهِ وَمُتَنَاوَرَتِهِ
لِغَيْرِي ..

فقال (كليلة) متعجبًا :

- وَكَيْفَ نَقْدِرُ عَلَى الثَّوْرِ ، وَهُوَ أَشَدُّ مِنْكَ قُوَّةً ، وَأَشَدُّ
أَعْوَانًا ، وَأَكْثَرُ جِدًّا ، وَأَهْمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّهُ يَتَمَعُّ
بِحِمَايَةِ الْأَسَدِ ١٩

فقال (بمنة) :

- رَبُّ صَغِيرٍ ضَعِيفٍ بَلَخَ بِحِيلَتِهِ وَدَهَائِهِ مَا يَنْجِيهِ عَنْهُ كَثِيرٌ
مِنَ الْأَقْوِيَاءِ ، وَسَوْفَ تَرَى مَا أَنَا فَاعِلٌ بِعَدَوْنِي ..



وتغيب (دمثة) عدة أيام .. ثم انتهر فرصة غياب النور ودخل
على الأسد في مجلسه وانفرد به وحده ، فسأله الأسد قائلاً :
- لماذا تغيبت عن مجلسي كل هذه الأيام .. لعل النافع أن يكون
خيرًا ..

فقطب (دمثة) جبينه ورسم على ملامحه الحزن .. ثم قال :
- ليس خيرًا أيها الملك ، وإنما هو شرٌ خطير يرادُ بك ..
ففرغ الأسد وقال :
- ماذا حدث يا دمثة ؟ تكلم ..
فقال (دمثة) في دهاء :



- حَدَّثَنِي صَبِيحُ الْأَمِينِ الصَّدُوقُ عَنِّي ، أَنَّ الثَّورَ (شَبْرَبَةَ) قَدْ
اجْتَمَعَ بِقَادَةِ جَنْدِكَ سِرًّا ، وَرَاحَ يَصِفُكَ بِالضَّعْفِ وَالْجُبْنِ ، وَأَنَّهُ
عَازِمٌ عَلَى قِتَالِكَ وَقَتْلِكَ ، وَالْإِكْرَادَ بِالْمَلِكِ مِنْ بَعْدِكَ . وَأَنَا اعْتَقَدُ
أَنَّكَ قَدْ أَخْطَأْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حِينَ قَرَّبْتَهُ مِنْكَ وَأَطْلَعْتَهُ عَلَى أَسْرَارِكَ
وَمَنَاطِقِ ضَعْفِكَ ، وَلِذَا طَمَعَ فِي إِزَاحَتِكَ وَالْإِكْرَادَ بِالْمَلِكِ مِنْ
بَعْدِكَ ، وَمَعَهُ قَادَةُ جَنْدِكَ ..

فَاغْتَمَّ الْأَسَدُ غَمًّا شَدِيدًا ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ الْخَوْفُ
مِنَ الثَّورِ وَقَادَةِ الْجَنْدِ ، وَاحْذَرْتُ (بِمَنْةُ) يُخَوِّفُهُ مِنَ الثَّورِ
وَيَحْرُضُهُ ضِدَّهُ ..

فَقَالَ الْأَسَدُ :

- وَبِمَاذَا تُشِيرُ عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاصِحُ الصَّدُوقُ ؟



فقال (بمئة):

- بجب أن تستعد للقاء غدوك ، فإن (شبرية) قد يدخل عليك
في أية لحظة وأنت غير مستعد له ، فيحدث ما لا تحمد عقباه ..
فقال الأسد :

- ومن أتراسي أنه حقاً يريد بي شراً ، كما تزعم ؟

فقال (بمئة):

إن علامة ذلك أن ترى لونه متغيراً ، وثرى أو صالته
ترنجد ، وثرأه يهز قرنيه ويتلفت حوله من الغضب ..
فايقن الأسد أن (بمئة) لم يخدعه ، وبدأ يستعد للقاء
الثور ..



وَأَسْطَلِقُ (دِمْنَةً) لِلِقَاءِ (شِثْرِيَّة) فَلَمَّا رَأَتْ رَحَبَ بِهِ وَسَأَلَتْهُ عَنْ سَبَبِ انْقِطَاعِهِ عَنْهُ طَوَالَ هَذِهِ الْأَيَّامِ ، فَقَالَ لَهُ :

- مَا مَنَعَنِي عَنْكَ إِلَّا شَرُّ يُرِيدُهُ الْأَسَدُ بِكَ ، وَقَدْ كُنْتُ أَحَاوِلُ قُدْرَ جَهْدِي نَاقُضَ هَذَا الشَّرِّ عَنْكَ ، فَلَمَّا لَمْ أَفْلَحْ أَتَيْتُ لِأَحْذَرُكَ ، حَتَّى تَكُونَ مُسْتَعْدًّا لِلِقَاءِ عَدُوِّكَ ..

فَوَقَعَ الْخَوْفُ فِي نَفْسِ (شِثْرِيَّة) وَقَالَ :

- الْأَسَدُ يُرِيدُ قَتْلِي !

فَقَالَ (دِمْنَةُ) فِي حَزْنٍ مُصْطَنِعٍ :

- لَقَدْ عَزَمَ عَلَيَّ أَنْ يَتَغَذَّى بِكَ مَعَ أَصْدِقَائِهِ ، وَأَنْتَ تَحْذَرُ أَلَيْ

قَدْ أَعْطَيْتُكَ عَهْدًا بِالْأَمَانِ عَلَى نَفْسِكَ ، وَلَوْلَا هَذَا الْعَهْدُ

مَا جِئْتُكَ ، حَتَّى تَأْخُذَ حَبْرَكَ وَأَخْطُو مِنْ ذَنْبِكَ ..



وَقَالَ (دُمْنَةُ) يُوَعِّرُ صَدْرَ الثَّوْرِ وَيَحْرُضُهُ عَلَى الْأَسَدِ ، حَتَّى يَقَعَ
الْخَوْفُ وَالْفُضْبُ فِي صَدْرِهِ مِنَ الْأَسَدِ ، وَهُوَ الَّذِي ظَنَّ أَنَّ الْأَسَدَ
صَدِيقُهُ الصَّدُوقُ ، فَكَيْفَ يَغْدِرُ بِهِ ، وَيَنْصِبُ لَهُ الْمَصَائِدَ وَالْمَكَايِدَ ؛
حَتَّى يَنْقَاتَهُ ، وَيَتَغَدَّى عَلَيْهِ ؟

فَقَالَ (شَبْرَبَةُ) :

- لَنْ أَشْرَعَ فِي قِتَالِ الْأَسَدِ ، حَتَّى أَرَى غَرَزَهُ وَمَكْرَهُ ، وَمَا اسْتَوَاهُ لِي
مِنْ شَرٍّ ، وَمَا دَبَّرَ لِي مِنْ مَكْرٍ ..

وَقَالَ (دُمْنَةُ) مُحْرَضًا :

- اذْهَبْ إِلَيْهِ وَسَتَرَى بِنَفْسِكَ عَلَامَاتَ ذَلِكَ ..

فَقَالَ (شَبْرَبَةُ) :

- مَا هِيَ عَلَامَاتُ ذَلِكَ ؟



فَقَالَ (دِمْنَةُ) :

- سَتَرَى الْأَسَدَ حِينَ تَدْخُلُ عَلَيْهِ جَالِسًا عَلَى ذِيْلِهِ ، رَافِعًا صَنْدَرَهُ ،
مُرْهَبًا أَدْنِيَهُ لِلسَّمْعِ ، مَاذَا يَصْنَعُ الْحَادُّ نَحْوَكَ وَقَدْ مَلَأَ الْغَضَبُ
مَبْلَكَ ..

وَهَكَذَا نَصَبَ (دِمْنَةُ) شِبَاكَ مَقْرَمَ وَهَائِهِ حَوْلَ الصَّنِيقَيْنِ الْحَمِيمَيْنِ
الْمُتَحَابَّيْنِ ، فَتَوَقَّعَ بَيْنَهُمَا الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ وَالْقَطِيعَةَ وَالشُّحْنَاءَ ..
فَلَمَّا دَخَلَ الثَّوْرُ عَلَى الْأَسَدِ ، تَحَقَّقَ كُلُّ مَنِهْمَا مِنَ الْعَلَامَاتِ
الَّتِي ذَكَرَهَا (دِمْنَةُ) فَوَثِبَ كُلُّ مَنِهْمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، مُحَاوِلًا قَتْلَهُ ،
وَوَلَّا يَتَقَاتِلَانِ فَحْشَةً مِنَ الْوَقْتِ ، فَأَصَابَ كُلُّ مَنِهْمَا بِجُرُوحٍ
خَطِيرَةٍ .. وَفِي النِّهَايَةِ وَثَبَ الْأَسَدُ عَلَى الثَّوْرِ وَثَبَّةً قَوِيَّةً عَقَلَتْهُ ..
وَجَلَسَ الْأَسَدُ يَبْكِي حَزِينًا عَلَى فَقْدِ أَعْرَ أَصْدِقَائِهِ ، وَأَخْلَصَ
أَعْوَانِهِ وَمُسْتَشَارِيهِ ..

تَمَّتْ

الكتاب القادم :

دِمْنَةُ مُجْرِمًا

رَبِّهِ الْوَالِدِ

الجزء الثاني من سلسلة...

